(المشروع السياسي والتوجه الأيديولوجي للدولة الجزائرية غداة الاستقلال)

د/ مراد بوعباش ، المدرسة العليا للأساتذة . بوزريعة

ملخص :

نحاول من خلال هذا المقال أن نبين إشكالية مفادها أنّ مواثيق الثورة التحريرية شهدت تحولا في بناءها الأيديولوجي ، و كان من نتاج ذلك بروز دولة جزائرية مستقلة لكن دون بناء فكري و لا هوية واضحة.

من خلال هذه المواثيق ، نحاول أن نبين التغير الفكري للدولة الجزائرية خلال فترة وجيزة ، فترة الثورة و فترة الاستقلال.

الكلمات المفتاحية : حركة وطنية – استقلال – الدولة – هوية الدولة – مواثيق الثورة.

Résumé :

Nous proposons dans cet article une réflexion sur l'Identité de la nation et de l'Etat algérienne en se basant sur les chartes de la révolution algérienne .

مقدمة :

إن دراسة الحركة الوطنية الجزائريةمنذ نشأتها على يد الأمير خالد حتى إقرار ميثاق الجزائر مرورا بمواثيق الثورة التحريرية ، وما أفرزته من تجليات لا تزال آثارها مستمرة حتى يومنا هذا ، يجب أن تتم وفق دراسة يتعدى التركيز على الأسباب التي أدت إلى التغيير و بين الأحداث العامة المستمدة من الواقع الذي عايشته الحركة الوطنية من قبل و جهة التحرير الوطني الحاملة لمشروع الثورة و بناء المجتمع .إذ الهدف من هذه الدراسات هو الوصول لمعرفة أسباب تغير مشروع الدولة والمجتمع الذي بني أساسه منذ نشأة الحركة الوطنية على اعتبار الدين و اللغة مقومين أساسيين للدولة الجزائرية اعتمادا على أساس علاقة السبب والنتيجة، أم أنّ أصل الصراع تعدى قدرة الرجال الذين فجروا الثورة على الإلمام بأصل المشكلة.

إنّ المسألة التي كانت تحرك رجال الحركة الوطنية منذ نشأتها هي قضية الدولة بما تحمله من مؤسسات اقتصادية و سياسية و اجتماعية في إطار الهوية الوطنية للمجتمع التي تتكون من جزء صلب وهو اللغة والتراث التاريخي للمجتمع، وآخر مرن وهو القيم الحاكمة لهذا المجتمع بالإضافة إلى رؤيته وأهدافه المستقبلية.

لقد كانت المرحلة الاستعمارية في تاريخ الجزائر تأثيرات ظهرت بشكل لافت بعد انتهاء الوجود العسكري الفرنسي و تجلى هذا التأثير بدرجة أو بأخرى في طبيعة التصورات التي كانت سائدة في مرحلة الاستعمار لدى زعماء الحركة الوطنية .

إنّ الدراسة التي نصبوا إليها من خلال هذا الموضوع تكتسي أهمية لأنه شكّل و لا يزال يشكّل نواة الصراع من خلال إعادة بناء الدولة الجزائرية ضمن مقوماتها التاريخية كالهوية و الدين و العادات و التقاليد و ضمن قيمها العربية الإسلامية و ضمن نموذج سياسي بعيد عن قيم الحضارة الغربية التي جسدها الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

مفهوم الهوية ودورها في بناء الدولة :

الهوية في معناها العام هي جملة علامات او خصائص مختلفة تستقل بها الذات عن الآخر ، فبغياب هذه العلامات و الخصائص تغيب الذات و تذوب في الآخر.[1]

و تعرف كذلك بأنها إحساس فرد أو جماعة بالذات ، إنها نتيجة وعي الذات بأني أو نحن نمتلك خصائص مميزة.[2]

أما على مستوى أعلى فالهوية الوطنية للمجتمع تتشكل من جزء صلب و هو اللغة و التراث التاريخي للمجتمع ، و آخر مرن و هو القيم الحاكمة لهذا المجتمع ، بالإضافة إلى رؤيته و أهدافه المستقبلية.[ii]

و يقسم الأستاذ حبيب صالح مهدي الهوية الوطنية إلى مجموعة سمات[3]:

1 – السمات الشخصية

2 – السمات الإقليمية

3 – السمات الثقافية

4 – السمات السياسية

5 – السمات الاقتصادية

6 – السمات الاجتماعية

كما يمكن حصر مكونات الهوية كما يحددها الاستاذ عباس الجراري في أربعة عوامل [iii]:

أولها : الوطن أي المكان و ما يرتبط به من زمان يعكس تاريخه.

ثانيها : الدين

ثالثها : اللغة

رابعها الثقافة

فالهوية من هذه الزاوية هي الأساس الذي تبنى عليه الدولة مهما كان شكلها و نظامها فلا يمكن تصور دولة بلا هوية و انت كانت موجودة و خاصة في الدول التي تعرضت للاستعمار .

أسس المشروع السياسي والاجتماعي للحركة الوطنية؟

إن الباحث في تاريخ الحركة الوطنية يلاحظ أنّ أهم مشكلة كانت تتخبط فيها الحركة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 من انقسامات عميقة و تشتت هو موضوع اللجوء إلى الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي[4] ،و مدى قدرة هذا الفصيل أو ذاك الوقوف أمام فرنسا حيث أن "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" بزعامة مصالي الحاج، "وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" بزعامة فرحات عباس، والحزب الشيوعي الجزائري الذي كانت له علاقة أيديولوجيةً وسياسية بالحزب الشيوعي الفرنسي،و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذه الأحزاب لم تقبل في البداية فكرة الصراع المسلح، وسعت إلى تحقيق الاستقلال بطريقة سلمية. فالحزب الشيوعي الجزائري عمل على "البحث عن حل ديمقراطي يحترم مصالح جميع سكان الجزائر دون ما تمييز في العرق أو الدين، ويأخذ بعين الاعتبار مصالح فرنسا".

إنّ مثل هذا الطرح يعني عدم امتلاك الحركة الوطنية لمشروع دولة و مجتمع يأتي كبديل لمشروع المجتمع الذي كان سائدا من قبل،في حين أنّ كل هذه الحركات كانت تحمل مشاريع واضحة تبنتها و كانت نابعة من خصوصيات الشعب الجزائري أحيانا و بعيدة عنه أحيانا أخرى لكن كانت الأهداف و إن ظهرت متناقضة فهي تبحث عن سبيل انعتاق الشعب الجزائري من السيطرة الاستعمارية.

و لمعرفة مدى تلاحم أو تباين في توجهات الحركة الوطنية من الضروري التركيز على مفاهيم مهمة كالدولة ، المجتمع ، الامة، الوطن ، الهوية، الدين ، الاستقلال و هي المفاتيح التي تبنتها الحركة الوطنية من الوجهة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، ذلك أنّ صياغة تصورات الحركة الوطنية للدولة و المجتمع مرتبط بظروف الوجود الفرنسي في الجزائر من جهة و بالخلفية الفكرية و الأيديولوجية لكل تيار او تشكيلة من جهة ثانية.

لقد طرحت الحركة الوطنية على نفسها العديد من التساؤلات ... في حالة الاستقلال ما هو المشروع البديل ؟ ما هي طبيعة المجتمع و طبيعة الدولة و ما هي أبعادها الأيديولوجية ؟

ما هي المؤسسات التي يمكن ان تحقق هذه الطبيعة ؟ و ما هي البنية الاجتماعية و الثقافية و السياسية التي تحقق الانسجام داخل المجتمع ؟ ثم ما هي الآليات التي يمكن أن تنظم المجتمع و الدولة بحيث تكون في خدمة المجتمع ككل ؟

يرى الأستاذ عبد الله شريط أنّ الحركة الوطنية كانت تعاني من فراغ أيديولوجي أثّر سلبا على عملية بناء الدولة فيقول : " أنّ معركة تغيير الإنسان بين العلماء المسلمين قبل الاستقلال و قادة الأحزاب السياسية في الجزائر هي في الواقع المرحلة الأولى في إثارة المشكلات الأيديولوجية و بناء الإنسان بين المثقفين منذ الأربعينيات الى اليوم ، و لكن عدم تقدم الفكر الأيديولوجي بعد ذلك كان له تأثيره السلبي على تطور فكرنا السياسي قبل ان يصبح تأثيره هذا أوضح في ميدان التنمية الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية منذ ما قبل الثورة المسلحة إلى ما بعد الاستقلال.."[5].

إنّ ظهور الحركة الوطنية كان أحد أوجه التطور الأيديولوجي الذي شهدته الجزائر ، فمن المفيد من وجهة التحليل السياسي أن نتناول التشكيلات الفاعلة على الساحة الوطنية في فترة الاستعمار بالنظر لما يمكن أن تحدثه من آثار على المستقبل السياسي للدولة الجزائرية المستقلة و هو نتاج لبروز وعي بقضايا الوطن الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و التي عبر عنها بالوسائل التي أتاحتها الظروف من جهة و السلطة الاستعمارية من جهة ثانية. و ذلك للبحث عن الدولة المنشودة و المجتمع الجديد الذي تبحث عنه أو تريد الوصول إليه.

لقد شملت الحركة الوطنية عدة توجهات و تيارات و آراء استقطبتها فكرة واحد ألا و هي البحث عن الدولة المناسبة للتعبير عن الأمة الجزائرية فكان المشروع الذي ساهمت فيه كل الأقطاب كل حسب موقعه و مركزه و دوره في الساحة الوطنية.

إنّ المقصود بالمشروع السياسي و الاجتماعي ذلك التصور للمجتمع الجديد الذي بنت عليه الحركة الوطنية فلسفتها الأيديولوجية وعملها طيلة تواجدها على الساحة الوطنية و ذلك من خلال البعد السياسي و الديني و الثقافي، ووفق قيمه و هويته.....

1 – البعد السياسي للحركة الوطنية :

كان البعد السياسي من أهم الأبعاد التي ناضل من أجلها رواد الحركة الوطنية الجزائرية من اليوم الذي وطأت فيه فرنسا أرض الجزائر و لم تقتصر على حمدان خوجة و أحمد بوضربة و غيرهم بل تعدت الى سكان الحضر و كانت مطالبهم لا تخرج عن إطار العمل السياسي الذي تبنته لجنة الحضر و هي[6]:

1 – احترام الدين الإسلامي و أوقافه و مؤسساته و إنشاء نخبة من المسلمين لإدارة شؤونه.

2 – إعادة الأملاك الخاصة التي استولى عليها الجيش الفرنسي إلى أصحابها.

3 – تسيير شؤون المدينة من قبل الحضر.

4 – فتح مجال التعليم و العمل و الصحافة أمام الجزائريين.

و مع بداية القرن العشرين و انتشار فكرة الاستقلال و خاصة بروز مبادئ ولسن 14 شهد تأسيس لجنة المغرب العربي سنة 1916[7]و الذي و جهت الى فرساي عام 1919 بمذكرة أهم ما جاء فيها [8]:"**لقد حرم شعبنا الذي كان يتمتع باستقلاله الأكمل من حقوقه و حرياته كما في الجزائر، اقيم في تونس نظام ظلم و إرهاب و حرم الشعب من ضمانات قانونية .. و اخضع بالقوة و لكنه لم يستسلم .. ان الشعب الجزائري- التونسي يطالب باستقلاله التام و هو ينادي الضمير العالمي كي يعترف له بحق التصرف بحرية بمصيره..."**

فمطلب الاستقلال كان من ضمن مطالب التيار الثوري كما كان جوهر عمل هذا التيار الذي تزعمه حزب الشعب،

و لا يمكن بأي حال من الأحوال – كما يقول السيد بن يوسف بن خدة " أن ننكر ما للتيار الوطني الثوري من دور رائد في الحركة الوطنية الجزائرية ، فلقد كان هذا التيار- سياسيا - أول من نادى بالاستقلال الوطني و كان النجم ثم حزب الشعب الجزائري و بعده حركة انتصار الحريات الديمقراطية رائدة في هذه المعادلة و هي من أعطت للشعب الجزائري عناصر كانت بمثابة العمود الفقري للعمل الوطني"[9]

و حتى في أوج الأزمة التي عصفت بحزب الشعب - حركة الانتصار – فإنّ المؤتمر الثاني المنعقد في افريل 1953 خرج بالبيان التالي حول السياسة العامة و مما جاء فيه :

1 – الديمقراطية " من الشعب و الى الشعب "

2 – الجمهورية نظام الحكم

3 - العمل على تحقيق الرخاء الاقتصادي و العدالة الاجتماعية ...[10]

و رغم ذلك فإنّ هذا التيار كان يشوبه ضعف ... بداية ضعف أيديولوجي ، فمفهوم الديمقراطية و مفهوم برلمان جزائري و مفهوم الكلمة للشعب الخ عبارة عن توجهات و لكن ماهي خلفياتها و ما هو النظام الذي سيخلف النظام الاستعماري بعد نيل الاستقلال ؟ هل هي الديمقراطية على النمط الغربي أم الديمقراطية الشعبية على نمط دول أوروبا الشرقية ؟ و ما هي الأسس الأيديولوجية للدولة الجزائرية المقبلة ؟ ما هو موقع الإسلام في الدولة و في حياة المواطن ؟ ما هي أسس الاقتصاد الجزائري ؟[11]

أمابالنسبة للتيار الإصلاحي و الذي جسدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد بنت أفكارها على أسس أو مرجعيات حملها الشعار : " الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ،الجزائر وطننا " و الذي اعتبر البرنامج الثقافي و الاجتماعي و السياسي لعملها مستوحية منه كل ما يخص القيم التي يجب أن يبنى عليها المجتمع الذي دنست قيمه بفعل الوجود الاستعماري.

فالمرجعية الأولى التي هي " الإسلام ديننا " كانت محور الإصلاح الديني الذي رفعته الجمعية في محاربتها للطرقية و تطهير الدين الإسلامي.

أما المرجعية الثانية التي جاءت " العربية لغتنا " فإنها تعني بالدرجة الأولى الهوية الوطنية و التي ترمز إليها اللغة العربية كأساس منفصل عن الفرنسية لغة الاستعمار و ما تبعها من إدماج و تجنيس .

أما المرجعية الثالثة و الخاصة بالوطنية فإنها ترمز إلى الانتماء ليس على أساس جغرافي فقط و إنما في إطار حضارة خاصة ، فجاءت الوطنية ترمز إلى أبعاد في إطار الأصالة الوطنية الجزائرية.

و على هذا الأساس انصب عمل الجمعية على أسلوبين النشاط من جهة و المو اقف من جهة ثانية .

فمن جانب النشاط ركزت الجمعية على التربية و التعليم و الإعلام كوسائل للتنشئة السياسية ، فلم يقتصر اهتمامها المحافظة على مقومات الشعب ، بل تعدى ذلك الى تنشئته وفق منظومة تربوية محددة بطابعها الديني و الثقافي و الاجتماعي و السياسي ليكون مسايرا لما هو موجود و محافظا على ذاته في آن واحد فكانت الجمعية ترى بان الواقع الذي يوجد فيه الشعب الجزائري يقتضي منها العمل على بناء الفرد و من ثم مجتمع جديد وفق رؤى اجتماعية و دينية و ثقافية جديدة.

فنرى سعد الله يقول : " عندما دخلت جمعية العلماء ميدان العمل ، فقد كان العمل السياسي أحد أركان نشاطها و تمثل ذلك في صراعها السري و العلني ضد الإدارة الاستعمارية فيما يتعلق بحق الجزائريين في التعليم عموما و باللغة العربية خصوصا و في المطالبة بتخلي الإدارة الاستعمارية عن الشؤون الإسلامية كترك الإسلام لأهله ... و لمبدأ فصل الدين عن الدولة الذي طبقته فرنسا على الأديان الأخرى غير الإسلام ، كما تمثل في رفض السياسة الاستعمارية الداعية إلى التجنس و نقد الجزائريين الذين وقعوا أو كادوا يقعون في التجنس و في الدعوة الى استغلال القضاء الإسلامي الذي دجنه القانون العام الفرنسي ، و نحو ذلك من القضايا "[12].

و لما كان هدف الجمعية هو رفض الوضع القائم - بمعنى التمرد على القيم السائدة بغية التوصل إلى قيم أصيلة - كان لزاما عليها اتخاذ ما تراه مناسبا للقضاء عليه ، لذا اعتمدت على منهجية سميت " منهج التغيير الاجتماعي الهادئ " و الذي يركز على تغيير الذهنيات و الأفكار و العلاقات الاجتماعية ثم تغيير الواقع السياسي. فكان أن اعتمدت على ثلاث وسائل للوصول إلى هذه الأهداف و هي المؤسسات التعليمية و المؤسسات الإعلامية و المؤسسات الثقافية. و كان الهدف منه هو المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية للجزائر و التي تتمثل في المحافظة على اللغة العربية ، المحافظة على الدين الإسلامي و تاريخ الجزائر العربي الإسلامي و الثقافة العربية و جغرافية الجزائر[13].

لقد كانت الجغرافيا مهمة في برنامج جمعية العلماء و يعنى بالجغرافيا دراسة الجزائر بعيدة عن فرنسا ، و كانت مقررات الجغرافيا تركز على أساس أنّ الجزائر بلد عربي إسلامي و هي جزء من المغرب العربي و الوطن العربي لغتها العربية و دينها الإسلام.[14]

لقد كان التيار النخبوي الاندماجي تيارا يعيش وفق ما تمليه فرنسا فلم يكن له فكر تحرري إلاّ في كنف فرنسا ، فأبعاده السياسية كانت مرتبطة بما تنص عليه فرنسا حتى أنّ فرحات عباس و الذي يعتبر من النخبة الاندماجية انكر وجود الجزائر فيقول : "..... **الوطنية هي ذلك الإحساس الذي يدفع بشعب ان يعيش داخل حدوده الإقليمية ، إحساس خلق هذه الشبكة من الأمم ، لو كنت اكتشفت الأمة الجزائرية لوكنت وطنيا ... مصالح فرنسا هي مصالحنا من اللحظة التي تصبح مصالحنا هي مصالح فرنسا** ..."[15]

إنّ هذا الاتجاه بنفي وجود وطن جزائري يعني فقدان الشعور القومي لدى هؤلاء بحق الانتماء و هو تعبير عن أطروحات جماعة النخبة الذين وضعوا من خلاله تصورهم و مفهومهم للوطنية و رؤيتهم لجزائر الغد وفق قيم أيديولوجية غذتها مبادئ الثورة الفرنسية التي حملوها وفق تعليمهم و اندماجهم في الوسط الفرنسي.

و رغم هذا الدافع الذي كان ينتاب جماعة النخبة منذ نشأتها و تعاملها مع السلطات الاستعمارية بالتعاون و ربط مصير الجزائر بفرنسا و الدعوة الى ذوبان المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي و الذي سيحقق من خلاله التقدم و الرقي الاجتماعي ، إلاّ أنّ السلطات الاستعمارية كانت تطبق سياسة مغايرة لطموحاتهم و خدمة للأقلية التي كانت في الجزائر .[16]

2 – البعد الديني و الثقافي للحركة الوطنية

ارتبطت الوطنية و الدين في مجمل العمل السياسي لدي التيار الثوري بالهوية فكانت من بين أهم المطالب التي كان يدافع عنها حزب الشعب حركة انتصار الحريات و من قبله النجم ، و كان الدين شعورا و إحساسا بالانتماء إلى شخصية تاريخية تكونت على قاعدة أساسها العربية و الإسلام لأنّ الاستعمار قبل كل شيء هو اعتداء على الدين و مساس بعزة الإسلام.

و من النقاط المهمة التي لها أبعاد على الهوية الوطنية ضرورة إلغاء التبشير في شمال إفريقيا .. و الإبقاء على الأوقاف و الحيلولة دون استخدامها في تعزيز الاستيطان الرسمي أو لغايات أخرى.

إنّ العامل الديني الذي أقرته وثائق نجم شمال إفريقيا و بعده حزب الشعب لم يكن يشمل في الأصل مرجعية أساسية رغم أهمية الدين في الواقع الجزائري ، فلقد أنشأ نجم شمال إفريقيا و بعده حزب الشعب في باريس بعيدا عن الواقع الجزائري و رغم ذلك فقد جعلوا جميعا من بين سياستهم العمل على صيانة الشخصية الجزائرية و المحافظة على مقوماتها الاساسية اللغة – الدين و عبروا عن ذلك برفض كل سياسة الإدماج لكونها مناقضة لتقاليد الشعب و ماضيه.

و يلاحظ من طروحات مصالي الحاج ارتباطه بانتمائه العربي الإسلامي و تمسكه بهويته و دفاعه عن مقومات شخصية الشعب كما تدل على ذلك مجمل السياسات التي استهدفت المساس بوجود الجزائر مجتمعا قيما و ثقافة و تعكس نوعية الارتباطات التي جمعته و التيارات القومية بالمشرق العربي و رموز السياسة و الفكر و خاصة شكيب ارسلان.[17]

و من المرتكزات التي اعتمدها النجم و من بعده حركة الانتصار اجبارية التعليم باللغة العربية و على جميع المستويات مع إنشاء مدارس عربية جديدة فكانت هذه العملية تمثل أساس الهوية الوطنية إلى جانب الدين الإسلامي.

و من الخصائص الدينية – الثقافية للاتجاه الثوري وقوفه ضد مشروع بلوم فيوليت[4]

فقد كان رد مصالي على هذا المشروع بقوله : " إن الشعب الجزائري لا يريد مشروع فيوليت لأنه لا يخدم مصالحه ، إنهم يريدون إدماجا للفرنسيين .. إعطائنا جنسية جديدة كأننا ليست لنا جنسية خاصة بنا ، ألا يعلمون بأننا شعب لنا ديننا ، لنا لغتنا ، لنا كتاباتنا، لنا آدابنا، لنا تاريخينا ، و نحن فخورون بانتمائنا لديننا .... لا نريد جنسية أخرى لنا جنسيتنا . منذ 107 سنة و هم يحاولون بشتى الوسائل إلغاء الإسلام للجزائريين و لم يفلحوا ، هددونا بالقوة بالحيلة و لم يفلحوا و ليعلموا أنّ الشعب الجزائري ليس للبيع و سيبقى مسلما.." [18].

إنّ الطرح الحضاري المبني على أساس الدين و اللغة و التاريخ و الانتماء جعل التيار الثوري يتبنى أفكارا لها صلة بهذه الأيديولوجية و من هنا كانت المناداة بإعادة المجد للحضارة العربية الإسلامية و إحياء الخلافة الإسلامية.

لقد مثل التيار الثوري نواة الحركة الوطنية فلقد أعطت للوطنية مفهومها الحقيقي و جسدت عملها بتكوين أيديولوجية للدولة الجزائرية المستقلة و فق أسس تبناها بيان أول نوفمبر 1954.

ارتبط الدين و الثقافة لدى جمعية العلماء بالمو اقف ، فلقد انتقل ابن باديس إلى تبيان أصل الشعب فيقول : " إننا شعب خالد ككثير من الشعوب ، و لكننا ننصف التاريخ إذا قلنا أننا سبقناها في ميادين الحياة ، سبقناها بهدايتنا و سبقنا هذه الأمم في نشر الحق .. علينا أن نعرف تاريخنا و من عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة له في هذا الوجود .."[19]

كما أبرز ابن باديس معنى آخر للأمة فيقول : " أنّ هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا و لا يمكن أن تكون فرنسا و لا تريد أن تصير فرنسا ، و لن تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت.." [20]

و انطلاقا من هذه المبادئ أدركت الجمعية ضرورة الوقوف في وجه المشروع الاستعماريو التصدي له بجميع امكانياتها كإنشاء المدارس و بناء المساجد و إنشاء الصحف و النوادي .

و لقد تجلى موقف الجمعية من الاستعمار في مقولة للشيخ الابراهيمي : " لو أنّ البحر الأبيض جف والتأمت حفتاه حتى أصبحت الجزائر ربضا من أرباض مرسيليا ، لما كان لهذه الكلمة الجزائر فرنسية موضع في العقل ما دامت تلك الفوارق قائمة ، و لو أنّ الجزائريين كفروا بالواحد و آمنوا بالثلاثة ، لما كان لهذه الكلمة موقع في النفس ما دامت سنن الله في ملكه جارية ، إنّ الجزائر ليست فرنسية و لا تكون فرنسية و لن تكون فرنسية قالها أولنا و يقولها آخرنا و مات عليها أسلافنا و سيلقى الله عليها خلفنا" [21]

كما دافعت الجمعية عن الانتساب للوطن وفق الشرع ووفق العرف ووفق الدين فيقول ابن باديس : " المسلم هو المتدين بالإسلام ، و الإسلام عقائد و أعمال و أخلاق بها السعادة في الدارين .أما تحصيلها لسعادة الأخرى فما بها على أحد من خفاء ، و أما تحصيلها لسعادة الدنيا فقد صار في هذه العصور المتأخرة عند كثير من الناس مما يخفى ... أما الجزائري إنما ينتسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي و مصالح الحاضر و آمال المستقبل. فالذين يعمرون هذا القطر و تربطهم هذه الروابط هم الجزائريون . و النسبة للوطن توجب علم تاريخه و القيام بواجباته من نهضة علمية و اقتصادية و عمرانية و المحافظة على شرف اسمه و سمعة نبيه فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه و لا سمعة لمن لا سمعة لقومه "[22]

بناء المجتمع الجزائري الجديد وفق المنظور الذي تراه النخبة انطلق من مفهوم الدين و الدولة و النظام الجمهوري ، فالدين مسألة تتعلق بالضمير و حرية الإرادة و الاختيار و يجب الا يضطهد و يدرس بحرية و هنا تتوقف صلاحيات الدين و امتيازاته فلا يدخل في أي منازعات اجتماعية و لا في تشكيل الحكومات ، و أنّ زمن الخلافة الإسلامية ولى دونما رجعة [23]

و بناء على هذا الطرح فإنّ فرحات عباس يرى بأنّ الإيمان مسألة شخصية و منه يجب أن يبعد عن اللعبة السياسية " فالدين كمحدد لسلطة الدولة لم يعد قائما ، بل تجاوزه الزمن و التاريخ .." [24]

فالديمقراطية عنده تقتضي إبعاد الدين لأنّ أصل الديمقراطية هي إرادة الشعب و هذا المعنى النابع عن الثقافة الغربية هي جوهر ما حمله رواد هذا الفكر فيقول فرحات عباس " إنّ ممثلي المسلمين لا يتطلعون أبدا الى التنكر للثقافة الفرنسية و الغربية التي احتضنوها و التي تمثل أغلى ما بقي لديهم ، لا بل العكس عندما يغرفون في الثورات الروحية و المعنوية لفرنسا و من تقاليد حرية الشعب الفرنسي يجدون فعلا القوة و ما يسوغ نشاطهم الراهن "[25]

و لقد ظلت النخبة تدافع عن فكرة لا تعارض بين الدين و الانتماء السياسي ، فالانتساب للإسلام لا يلغي و لا يتعارض مع المواطنة الفرنسية ، و هذا ما أصبغ على أنصار التيار البعد اللائكي و الذي تجلى في فصل الدين عن الدولة و تبنيها الأفكار الجمهورية و إبعاد الدين عن الأغراض السياسية.

أما اللغة بالنسبة للنخبة فقد شكلت حجر الزاوية فلم تعد وسيلة للتخاطب و إنما وسيلة لنقل الأفكار الاستعمارية و بالتالي سلب النخبة من محيطهم الثقافي و إدماجهم في المحيط الفرنسي.

ورغم الخطر الذي قد ينجر عن هذا التوجه لكون فكرة المواطنة تقتضي التمتع بالجنسية الفرنسية و بالتالي تؤدي فيما بعد إلى التخلي التدريجي عن الهوية الثقافية و الدينية و التنكر للروابط الاجتماعية و الأعراف الأسرية .إلاّ أنّ النخبة كانت تسعى من وراء هذا الطرح الى إعادة بناء المجتمع وفق النموذج الفرنسي مع الحفاظ على الشخصية الإسلامية.

هوية الدولة من خلال بيان أول نوفمبر:

يلاحظ من الوهلة الأولى أنّ بيان أول نوفمبر يشوبه نقص من حيث البعد الأيديولوجي و هذا ما يعترف به محمد بوضياف بقوله : " لم يقع أي تعمق جاد في الحركة و لم يستطع المنظمون أن يتوسعوا في المضمون السياسي اكثر مما تناولوه في البيان لأنّ إعداد محتوى واسع و مفصل يقتضي وقتا و تكوينا معينا يمتد إلى الأيديولوجية و الأبعاد و التنظيم... و هو أمر صعب لأنّ المنظمين تجنبوا التحكم في مستقبل البلاد الى حين حصولها على الاستقلال.."[26]

لقد اعتمد البيان على هدفين أساسيين هما الاستقلال الوطني ، الدولة الجزائرية في إطار المبادئ الإسلامية ، لكن دون تبيان الأطر العامة للدولة و الاستقلال لكون الثورة التحريرية رغم ما تحمله من طابع تحرري لم تكن تحمل مشروعا أيديولوجيا و سياسيا لتحقيق الثورة الديمقراطية ..

المتتبع لنص البيان يلاحظ أنّ الغاية من الكفاح المسلح هو تحقيق الاستقلال و تفاديا لأي غموض أو تأويل فقد عمد البيان الى تحديد محتوى الاستقلال في :

- إقامة الدولة الجزائرية
- السيادة
- - الديمقراطية الاجتماعية
- المبادئ الإسلامية.

فإعادة بناء الدولة الجزائرية ذات السيادة يعنى رفض كل أشكال الوصاية و يعنى كذلك إرجاعالأرضإلى مالكيها لكن هذه السيادة اثيرت حولها اشكالات كبيرة خاصة مع اتفاقيات ايفيان حيث بنيت على أساس فرض بعض الشروط على الدولة الجزائرية الحديثة و خاصة التعليم و الثقافة و الاقتصاد[27]

كما لم يحدد البيان نمط الدولة الجزائرية و بالتالي ترك المبدأ الجمهوري كمفهوم وارد لدى الحصول على الاستقلال.

المبدأ الآخر الذي جاء به البيان هو " الديمقراطية الاجتماعية " و يعنى هذا انتهاج النهج الديمقراطي ضمن الدولة الوطنية معتمدة أساسا على البعد الاجتماعي لهذه الديمقراطية أي المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار.

أما المبدأ الأهم الذي جاء به البيان هو مفهوم " المبادئ الإسلامية " .هل المعنى إقامة دولة جزائرية تستمد مبادئها و قوانينها من الشريعة الإسلامية ؟ هل معنى هذا العودة إلى شعار جمعية العلماء المسلمين " الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا "؟

إنّ المتتبع لأدبيات الحركة الوطنية يلاحظ أنّ مفهوم الإسلام و مبادئه كانت مدرجة ضمن مطالبها الأساسية من حركة النجم الى جمعية العلماء الى النخبة ، فالجامع الذي اتفق عليه الكل هو الدين كأساس للشخصية الوطنية . لكن السؤال المهم ، ما المقصود " بالمبادئ الإسلامية " وفق ما جاء في بيان أول نوفمبر 1954؟

الملاحظ أنّ البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح كالهوية و الإسلام و العروبة ، و أنه ليس ميثاقا أو عريضــة مرجعية بل هو وثيقة سياسية كتبت فيما يبدو على عجل و صيغت في عبارات بسيطة و عملية .

لذلك فإنّ المبادئ الإسلامية التي جاءت في البيان لم تكن كافية لفهم المعنى الحقيقي المراد منها بالرغم من البعد التاريخي و الثقافي اللذين ميزا الجزائر المسلمة عن فرنسا المسيحية ، إلا أنّ ذلك لم يكن كافيا لرفع اللبس ، و هذا ما أسماه الأستاذ رابح لونيسي بالخلاف و النقاش السائد حول مفهوم " ضمن المبادئ الإسلامية"[5] و الذي يعنى أساسا : " الممارسة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في إطار مبادئ الإسلام عامة الذي اجمع عليها المسلمون و المعروفة بوضوح لدى الجميع " [28]

هذا الطرح يؤكده الدكتور سعيد عليوان حيث يرى بأنّ المقصود بالمبادئ الإسلامية هو قواعد و معايير عملية تبنى عليها قيم الاعمال.. فالبيان قرر ان تكون الثورة الجزائرية و الدولة التي ستقوم على اثر انتصارها متمثلة جميع قيم الإسلام " [29]

هوية الدولة من خلال وثيقة الصومام 1956:

الملاحظة الأساسية التي يمكن أن نستنتجها من خلال وثيقة الصومام أنها جاءت لإدارة و تنظيم الثورة بإنشائها للمجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي خول له وحده الأمر بوقف إطلاق النار أو الدخول في مفاوضات [6]،و إنشاء لجنة التنسيق و التنفيذ ، كما قسمت البلاد الى ولايات و إنشاء الرتب العسكرية الخ... إلا أنّ مواصفات الدولة المستقلة يمكن اعتبارها مبهمة حيث حددت الوثيقة طبيعة الحكم بالنظام الجمهوري و يكون النظام السياسي نظاما ديمقراطيا و اجتماعيا.

إنّ مفاهيم الجمهورية و الديمقراطية و الاجتماعية لا تعكس المفهوم الحقيقي لأي نظام فهي مترادفات قد تستغل في أي نظام مهما كان شكله لأنّ المبدأ الذي جاء في بيان أول نوفمبر : " إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن المبادئ الإسلامية " لم يكن حاضرا في وثيقة الصومام بل كان هناك نفي ضمني بقوله : " إقامة دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية و اجتماعية و ليست في سبيل إعادة حكم ملكي أو حتى قائم ما يعبر عنه باللاهوتية "

و في هذا الصدد يقول الأستاذ بن خدة : " من الأكيد أنّ هذا البرنامج لم يعلن على أي مذهب بمعنى الكلمة ، و إنما اقتصر مجهوده على ملء الفراغ الأيديولوجي و السياسي القائم على تحديد الأهداف الإستراتيجية للحرب "[30]

و هذا ما عبر عنه الأستاذ ولد خليفة بقوله : " أنّ النظام الثوري و جبهة التحرير الوطني قاما طيلة سنوات الحرب بدور السلطة المضادة لإحداث قطيعة جذرية مع الكولونيالية "[31] . لقد اعتبرت هذه النقطة من بين عوامل بداية الانحراف عن خط الثورة العقائدي الذي كانت تؤمن به ، و اعتباره أحد أهم مصادر التشريع في الجزائر حتى أيام الاستعمار لأن إعادة بناء المجتمع كان يبدو من الوهلة الأولى أنه سيكون حسب القيم و التاريخ الذي يقوم عليه هذا المجتمع ، فالبحث عن الاستقلال قد يعطي الحق في بعض الممارسات إلا أنّ البناء كان الاعتماد على رواسب و انعكاسات لما كان موجودا.

هوية الدولة من خلال وثيقة مؤتمر طرابلس:

جاء مؤتمر طرابلس على اختلاف الصومام في فترة أضحت فيها الجزائر على أبواب الاستقلال ، فكان لا بد من مؤتمر جامع تناقش فيه مشروع الدولة الجزائرية الحديثة.

ومن المعروف أن برنامج طرابلس قد صاغه في ذلك الوقت محمد حربي وهو ماركسي، ومصطفى الأشرف وهو أستاذ بجامعة السوربون، ومحمد يزيد. ويعكس هذا البرنامج ثلاثة توجهات كانت سائدة في معرض تحليلها للطبيعة الاجتماعية للثورة الجزائرية، وهي توجهات مختلفة تماما و تعبر عن الحساسيات الأيديولوجية المتباينة في قيادة الثورة، وأرائهم في قراءة الواقع الجزائري، وآفاقه المستقبلية.

بالعودة إلى أصل المشكل، قال علي هارون إن الجزائر المستقلة تجاهلت مؤتمر طرابلس عمدا "لأننا لسنا فخورين بالحديث عنه" و«لأنه يعكس أوقات مظلمة من تاريخنا". وأضاف: "القادة المجاهدون لم يكن لهم الوقت الكافي للتفكير في السياسة المعتمدة بعد الاستقلال، لم يتطرقوا إلى طبيعة النظام أو المنهج الأيديولوجي أو القيادة التي ستوكل إليها مهمة تسيير البلاد بعد إخراج فرنسا .. كان ذلك ثانويا."[32]

ويمكن إدراج هذه التفسيرات المتباينة على النحو التالي:

أولاً: تحليل كل من مصطفى الأشرف، ورضا مالك ومحمد يزيد، الذي يؤكد بأن طبيعة المجتمع الجزائري هو مستعمر نصف إقطاعي، ولذا فإنّ مرحلة الانتقال إلى الاستقلال والعصر الحديث، تتطلب بناء دولة حديثة، والقيام بإصلاح زراعي وتصنيع، وتحرير المرأة، والقضاء على الآثار الإقطاعية. وليس من شك أن هذا الطرح ينطلق من المرجعية الأيديولوجية الماركسية التي تحدد طبيعة الثورة بأنها ديمقراطية برجوازية. وبسبب عجز البرجوازية في البلدان المستعمرة عن القيام بها، وضعف الطبقة العاملة، فقد أحل رضا مالك ومصطفى الأشرف محل الثورة الديمقراطية البرجوازية مصطلح الثورة الديمقراطية الشعبية. التي لا يقع على يد طبقة واحدة "بل على دولة تبقي البرجوازية تحت وصايتها، وتجسد قاعدتها الاجتماعية لدى الفلاحين والعمال بوجه عام، والشبيبة والمثقفين الثوريين".

ثانياً: تحليل أحمد بن بلا المتأثر إلى حد كبير بأفكار "فرانز فانون" التي طرحها في كتابه "معذبو الأرض" والذي يرى أن الثورة الجزائرية لا يمكن أن تستقيم إلا إذا انساقت في سياق الثورة الاشتراكية حيث تكون القوة القيادية فيها للفلاحين. ويعطي تحليل بن بلا دوراً استراتيجياً للإسلام. باعتباره "يشكل متراساً للفقراء ضد الأغنياء ويعطي طابعاً مميزاً للأصالة الجزائرية".

ثالثاً: تحليل محمد حربي الذي يجد ضالته في المرجعية الماركسية حيث يرى أن الجزائر ليس بلداً اقطاعياً. لأن نمط الملكية ودور الدولة، والعلاقة بين المدن والأرياف، تختلف كلياً عن نمط الإقطاع الذي كان سائداً في العصر الوسيط في الغرب، وأكد محمد حربي بأن البرجوازية الجزائرية عاجزة عن إنجاز مهام الثورة الوطنية، وركز على الترابط العضوي بين مهام الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية، الأمر الذي يتطلب "النضال على جبهتين ضد الإمبريالية وضد البرجوازية المحلية، أما البرجوازية الصغيرة الاقتصادية فيجب تحييدها... وقد اعتبر أن محرك الثورة لا يمكن أن يكون غير الطبقة العاملة مهما تكن ضعيفة... أضف إلى ذلك أن للثورة الاشتراكية طابعاً أممياً لذا فإن تحالفاً استراتيجياً مع الاتحاد السوفياتي والصين أمر لا غنى عنه".

لذا يمكن الجزم بأنّ ميثاق طرابلس يعتبر أهم مواثيق الثورة الجزائرية كونه جاء في مرحلة أقل ما يقال عنها مرحلة الاستعداد للاستقلال بعد 132 سنة من الوجود الاستعماري في الجزائر و بالتالي جاء لوضع الاسس لإعادة بناء الدولة الجزائرية الجديدة على مبادئ" تخدم الشعب الجزائري ووفق قيمه و مبادئه" ، كل ذلك في ظل الصراع داخل أجهزة السلطة بين الحكومة المؤقتة و قيادة الاركان ، صراع اتهمت فيه قيادة الاركان الحكومة المؤقتة بالعجز و التخاذل و الاستسلام للطرف الفرنسي ، كما حملتها مسؤولية القبول بحلول تكرس لاستعمار جديد على حساب تضحيات الشعب الجزائري [33]

لذا نلاحظ الأستاذ محمد العربي الزبيري يتحدث عن الظروف التي انعقد فيها مؤتمر طرابلس و التي أثرت في صياغة الميثاق منها ما هو فكري و منها ما هو سياسي و منها ما هو بشري ، حيث يلخصها في :

1 – عدم وجود تجانس بين الأعضاء الذين أوكلتإليهم مهمة تحضير و صياغة المشروع التمهيدي ، و عدم وجود تجانس في تركيبة الحكومة المؤقتة حيث قسمت مهام لجنة التحضير بين رضا مالك و مصطفى الاشرف اللذين كلفا بتحديد طبيعة الثورة ، كما كلف كل من محمد بن يحي و محمد حربي برسم الملامح الكبرى للسياسة الاقتصادية و الاجتماعية و السياسة الخارجية ، و كلف عبد المالك تمام بمهام كيفية بناء الحزب.[34]

2 – اعتماد على نظريات دخيلة على المجتمع الجزائري مما أعطى التوجه الاشتراكي للدولة الجزائرية ، و هذا ما شوه تاريخ الأمة الجزائرية الذي كان أساس الصراع فيه بين المشروع التغريبي الاستعماري و المشروع الوطني الإسلامي.[35]

أما الأستاذ بن خدة فيرى بأنّ ما حدث في طرابلس :" ليس مؤتمرا و لكن إجماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، و لم تكن هناك أية معارضة بالنسبة لنموذج المجتمع الذي تبناه المجلس الوطني للثورة ، و كان مجسدا في برنامج طرابلس الذي يتمحور حول نقطتين ، الاختيار الاشتراكي و الحزب الواحد " [36]

جاء المضمون الفكري و السياسي لبرنامج طرابلس حول أسس الدولة الجزائرية مفهوم " الثورة الديمقراطية الشعبية "[37]حيث يعبّر هذا العنوان عن توجه جديد و انحراف عن مبادئ كانت الحركة الوطنية تدافع عنها منذ دخول الاستعمار الى الجزائر ، هذا المفهوم الذي يقول عنه حربي : " بأنه يعكس رؤيا قومية و شعبوية تقدس الشعب و ترفعه إلى مقام المثل العليا ، و تؤله الدولة في الوقت ذاته "[38]

فعدم الاستعمال الدقيق و الملائم للمصطلحات و تحديدها زاد من تفاقم التناقضات داخل المؤتمر و الشروع في المصادقة على مشروع البرنامج يعد خطأ فادحا جعل الثورة الجزائرية تدخل مرحلة ما بعد الثورة بمشروع مجتمع بعيد كل البعد عن واقع الشعب الجزائري.[39]

و أهم ما احتوى عليه برنامج طرابلس لتحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية : كون الكفاح المسلح يجب أن يترك المكان للمعركة العقائدية ، و أن الثورة الديمقراطية الشعبية يجب أن تخلف الكفاح من أجل الاستقلال الوطني ، و أنّ الثورة الديمقراطية تشييد واع للبلاد في إطار مبادئ الاشتراكية و سلطة في أيدي الشعب[40]

إنّ هذا التعبير تؤخذ منه أفكار مهمة أهمها استمرارية الثورة بعد الاستقلال على المستويات العقائدية (الاجتماعية السياسية الاقتصادية و الثقافية) من أجل البناء و التشييد في إطار المبادئ الاشتراكية.

وإذا رجعنا إلى المهام الأساسية للثورة الديمقراطية الشعبية التي جاء بها الميثاق و التي استلهم منها عمله نلاحظ أنّ الصورة حرفت عن مسارها لأنه جاء فيه :

1 – الانطلاق من الواقع الجزائري من خلال معطياته الموضوعية و مطامح الشعب.

2 – التعبير عن هذا الواقع على أن نأخذ بعين الاعتبار متطلبات التقدم العصري و اكتشافات العلم و تجارب الحركات الثورية الأخرى و محاربة الامبريالية في العالم.

3 – تفادي الاستلهام من الصيغ الجاهزة دون الرجوع إلى واقع الجزائر الملموس[41]

و من هنا نلاحظ التناقض الكبير بين الاستلهام من الواقع الجزائري و ذلك بالرجوع الى مقوماته الوطنية و أسس بنائه الأيديولوجي و بين الإلحاح على انتهاج النهج الاشتراكي الذي يعبر عن مطامح الشعب.

إذا ، ففلسفة التغيير التي تبناها الميثاق عبرت عن منطلقات فكرية بعيدة عن الواقع الاجتماعي و الثقافي و بيئة الشعب الجزائري ، بل توجهت به نحو أطر بعيدة عنه باستعمال مصطلحات رنانة منها السلطة في أيدي الشعب[42]

و إذا رجعنا إلى المضمون الثقافي لبرنامج طرابلس نلاحظ في تحديده للثقافة الجديدة اعتماده على ثلاثة أسس يجب أن تقوم في جزائر الاستقلال :

1 – أن تكون ثقافة وطنية

2 - أن تكون ثقافة ثورية

3 – أن تكون ثقافة علمية [43]

و الثقافة الجزائرية بهذا المفهوم " يجب أن تكون الرباط الحي و الضروري بين الجهد العقائدي للثورة الديمقراطية و بين المهام العلمية و اليومية التي يتطلبها تشييد البلاد" [44] و لكونها ثقافة وطنية يتطلب إعادة للغة العربية كرامتها و نجاعتها كونها المعبر الحقيقي عن القيم الثقافية و الحضارية للشعب ، و بالتالي إعادة بناء تراث وطني مبني على أسس فكرية و ثقافية مناهضة للهيمنة الغربية التي سيطرت على البلاد و أثرت في نفوس بعض أبناء الجزائر ، و منها ستصبح اللغة العربية المحررة للشعب الجزائري. فمن الواجب ترقيتها حتى تقوم بدورها في المستقبل بأساليب علمية [45]، و معنى هذا تمكين اللغة العربية من مقاومة الانحطاط الثقافي الذي دب في أوساط الشعب و بعض النخب المثقفة من جراء الوجود الاستعماري طيلة 132 سنة.

و كونها ثقافة ثورية فإنها تساهم في تحرير الشعب من مخلفات النظام الإقطاعي المعادية للمجتمع في عاداته و تقاليده، و يعني هذا عدم انغلاقها عن التطور الذي يحدث في العالم. و الثقافة الثورية : " تعتني أول ما تعتني بالإنسان فتصيره قوة فاعلة بالتثقيف و التكوين .. و ترفع من قيمة الجماهير الشعبية فكريا و ثقافيا و سياسيا و تقنيا إلى مستوى النخبة " [46]

إلا أنّ الميثاق وقع في العديد من الهفوات من هذا الجانب ، فالحديث بدأ بالاهتمام "بالرفع من المستوى الثقافي للمناضلين و الإطارات و المسؤولين و الجماهير". و معنى هذا إغفال الميثاق لموضوع الثقافة الشعبية لأنه بالضرورة من الواجبات الأولى بعد واجب التحرر.

إنّ الاعتماد على بناء مشروع ثقافي يقتضي اعتماد خطة و آليات محددة تسهر الدولة على تطبيقها و تلتزم بها لأنها في النهاية مشروع مجتمع مناف تماما للمشروع الاستعماري، و منه إصلاح المنظومة الثقافية تستلزم الاعتماد على نموذج واقعي دون إغفال التجارب العالمية.

كذلك يلاحظ عدم وضوح الرؤية فيما يخص البعد الإسلامي كمحرك أساسي للشخصية الجزائرية على أساس مرجعية أساسية للحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، و ليس فقط " الإسلام الذي يتخلص من البدع و الأوهام الذي خنقته و حرفته و هزت جوهره يجب أن ينعكس – علاوة على كونه دينا – على هذين العاملين الأساسيين : الثقافة و الشخصية " [47]

كما يلاحظ كذلك عدم وضوح المبادئ الثقافية التي اعتمدت كأساس لانطلاق الثورة التحريرية لأنها اعتمدت على مصطلحات قريبة من التوجه الاشتراكي أكثر ه من التوجه الوطني الذي جسده بيان أول نوفمبر.

هوية الدولة من خلال ميثاق الجزائر:

انبعث مع ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة في الجزائر المستقلة ، فضاء للحرية و الاستقلال حيث استطاعت الثورة الجزائرية أن تجمع مواطنيها على فلسفة تحررية واحدة اعتبرت من جميع الأطراف الفاعلة على أن التوجه التحرري هو عنوان كبير لكل البرامج

السياسية ،و على الرغم من الطابع الوطني التحرري ، لم تكن في البداية تحمل في طياتها مشروعاً أيديولوجياً وسياسياً لتحقيق الديمقراطية ، والسبب في ذلك يعود إلى أمرين اثنين:

الأول: طبيعة القوى السياسية القائدة لهذه الثورة والمقصود -جبهة التحرير الوطني- من حيث تشكلها السياسي والتنظيمي وبرنامجها حيث كانت جبهة التحرير الوطني تستقطب جماهير وقيادات من الحركة الوطنية الجزائرية على اختلاف توجهاتهم.
الثاني : قصور وعي الجبهة السياسي والأيديولوجي، وتركيبتها الطبقية التي يغلب عليها طابع البرجوازية الصغيرة الفلاحية، وبنيتها التنظيمية ، التي لا تسمح بحرية النقاش والحوار الداخلي[48]

ومن المهمات المركزية للمجلس الوطني للثورة الجزائرية حل قضية الصراع المستمر بين القادة في الداخل وأولئك في الخارج إنه الصراع الدائم الذي تتعرض له كل ثورة، بسبب ظروف القمع والاعتقال والهجرة إلى المنافي الخ[49]

"وباختصار فإن الجبهة -جيش التحرير الوطني، كتعبير عن ثورة شعبوية قطعت مع حركة وطنية متأزمة، لم تتوصل إلى تجاوز مكامن ضعفها الأصلية. فخلف التمييز بين "سياسيين" و"عسكريين" كان يختفي في الواقع الصراع بين خطين متخاصمين. الأول، ويجسده عبان، كان يجد سنده في المدن، وإذا كان برجوازياً بيروقراطياً بشكل كامن، فقد كان يعقوبياً وداعياً إلى المركزة. أما الثاني، ويمثله قادة جيش التحرير، فكان عامياً ويستند إلى الطبقات الريفية، كان يهتم قليلاً جداً بالمسائل الأيديولوجية، وكان أصحابه يناضلون من أجل مصالح ثورية ويجعلون من استقلال منظماتهم رهان المستقبل[50]

مع اتساع جبهة التحرير الوطني التي استوعبت كافة القوى السياسية الوطنية، التي كانت قائمة قبل الثورة، باستثناء حركة مصالي الحاج، وصعود العسكريين والمثقفين الثوريين إلى مراكز نفوذ بارزة، عجزت هذه الجبهة عن إنشاء تنظيم سياسي فعال ومستقر نسبياً، يستوعب التيارات السياسية والأيديولوجية الكبيرة المختلفة والمتباينة، الأمر الذي قاد إلى تعميق الانقسامات والمسافات والخصومات فيما بينها. وككل ثورة، عرفت الثورة الجزائرية منذ ولادتها صراعات حالت دون تركيز السلطة في أيدي قيادة تحظى بالإجماع تقود حرب الاستقلال، وتسيطر على الحياة السياسية الداخلية في جبهة التحرير الوطني، وتبني عملية سياسية ديمقراطية.

فالعسكريون في جيش التحرير الوطني يريدون أن يوظفوا نفوذهم على الصعيد العسكري والسياسي والإداري لبسط هيمنتهم على الولايات الجزائرية.

والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تشكلت عقب حل لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية في 19 افريل 1958، بدل من أن تعمل كوحدة سياسية لقيادة حرب الاستقلال والمفاوضات مع فرنسا، عملت على تشكيل ثلاث لجان متخصصة:

الأولى: وتتكون من العسكريين "الثلاثي" كريم وبوصوف وبن طوبال الذين تسلموا معاً وزارات الحرب والاتصال والمواصلات والداخلية،

و الثانية تولى فرحات عباس الليبرالي ورئيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري رئاسة الحكومة المؤقتة.

أما اللجنة الثالثة فقد تألفت من بن خده ومحمد يزيد والأمين دباغين ومهري، وكانت مسؤولة عن وزارات الشؤون الاجتماعية والإعلام والشؤون الخارجية وشؤون شمال إفريقيا، وهكذا فإن الحكومة المؤقتة احتوت ثلاثة أنشطة ذات فعاليات مختلفة:

وانطلاقاً من تحديد هذه اللوحة التصنيفية للفئات السياسية الجزائرية يمكن أن نصل إلى استنتاج محدد من أن السياسيين التقليديين؛ الذين قادوا الحركة الوطنية، وانتهجوا سياسة تختلف وتتناقض أحياناً مع الاستعمار الفرنسي، وطالبوا بالاستقلال من خلال عمل سياسي مشروع، من دون أن يقاتلوا من أجله، لأن الاستقلال يحقق لهم مصالح ليست متناقضة إلى هذا الحد مع الاحتلال، فشلوا في تحقيق المطالب الوطنية، على الرغم من أنهم يمتلكون ثقافة عالية، فرنسية في الأغلب. وكان الكثير منهم

يمارسون مهناً حرة. إنه الوضع الذي أفسح المجال لبروز الثوريين والعسكريين الممثلين للفئات الاجتماعية الأكثر سحقاً في المجتمع الجزائري والأقل ثقافة، والأدنى مستوى اجتماعياً قبل الاستقلال، الذين فجروا الثورة ضد المستعمر الفرنسي من أجل الاستقلال، واستطاعوا أن يتبوؤا مراكز قيادته في الحركة الوطنية الجزائرية، وأن يستعيدوا سيطرتهم عليها.

خلاصة :

إذا كانت مواثيق الحركة الوطنية قد بينت تصوراتها و أيديولوجياتها بناء على واقع فرضه الاستعمار ، فإنّ مواثيق الثورة جاءت في مرحلة امتازت من جهة باندلاع الكفاح المسلح ، و من جهة ثانية نهاية الوجود الاستعماري.

فبيان أول نوفمبر وضع " السكة على الطريق " و بين خصائص الثورة و نموذج المجتمع و أسس الدولة الجزائرية المستقلة " في إطار المبادئ الإسلامية " حتى و إن كانت المرحلة الأولية و الهدف المنشود هو الاستقلال و استرجاع السيادة الوطنية.

ثم كان الصومام الذي جاء بالدرجة الأولى لتنظيم الثورة إلا أنّ وثيقة الصومام أعطت كذلك التصور الذي ستكون عليه الدولة و ذلك بإعطاء الأهمية للسياسي على العسكري و للداخل على الخارج ، و بينت الخلافات التي بدأت تظهر إلى الوجود.

أما برنامج طرابلس فإنّ الوثيقة في حد ذاتها برنامج الدولة الجزائرية المستقلة بكل ما تحمله من أفكار و توجهات سياسية و اجتماعية و اقتصادية و ثقافية ، فلأول مرة حدد نموذج المجتمع بعيدا عن التوجه الإسلامي ، و حدد كذلك النهج الاشتراكي للدولة بحجة محاربة الاستعمار و الامبريالية.

الهوامش :

[1]عبد العالي الودغيري.اللغة و الدين و الهوية .الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة 2000. ص 65.

[2] حبيب صالح مهدي . دراسة في مفهوم الهوية http://www.iasj.net

[3] ابراهيم الديب. عبقرية الهوية الوطنية في بناء الدولة الحديثة www.aljazeera.net.

[4] حبيب صالح مهدي . دراسة في مفهوم الهوية http://www.iasj.net

[5] . عباس الجراري . الهوية الوطنية و الجهوية .www.abbesjirari.com

6 توفيق المدني- المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب 1977

[7] عبد الله شريط .المشكلة الأيديولوجية و قضايا التنمية . ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1981. ص 78.

[8] سعد الله الحركة الوطنية ج1 ص 1128

[9]عبد القادر جغلول. الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر. ترجمة سليم قسطون، بيروت دار الحداثة ،ط1 1984 ص201

[10] نفسه ، ص 207/205

[11] .Benyoucef ben khedda les origines du 1er novembre ...p 24 11

[12]Collot le mouvement national algérien ...p 18312.

[13].ben khedda op cit ...p 218

14سعد الله . أبحاث و آراء ج4. ص 145.

15سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد سنة 1935 ص 41

16. تركي رابح التعليم القومي و الشخصية الجزائرية ص 323.

17نفسه ، ص 334

18 .Amar naroun , ferhat abbas ou les chemins de la souveraineté . paris ed denoel 1961 .p 162.

19 .احمد توفيق المدني . كتاب الجزائر . القاهرة دار المعارف 1963 ص 75

20. امحمد مالكي. الحركات الوطنيية و الاستعمار في المغرب العربي . بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ط2 1994. ص 260.

21. طرح مشروع بلوم/فيوليت في 30 ديسمبر 1936 و الذي يهدف إلى القضاء على الانتماء الوطني لفئة معينة من الشعب الجزائري و ذلك بمنحهم الجنسية الفرنسية و يخص بالذكر النخبة ذوي الشهادات التعليمية ، المنتخبين و العسكريين و الموظفين...

انظر:

Benyoucef ben khedda les origines du 1er novembre ...p63

22 بنيامين سطورا ..ص 58/57

23 البصائر العدد 171 ، 5 جمادى الأولى 1358 الموافق ل 23 جوان 1939 ص 245.

24الشهاب ج1. م12 ، محرم 1355 هـ الموافق ل افريل 1936 ص 46.

25. البصائر العدد111 24 جمادى الاولى1369هـ الموافق ل 13 مارس1950 ص 175.

الشهاب الجزء العاشر المجلد الخامس جمادى الثانية 1348 الموافق 1 نوفمبر 1929.ص 26.11/10.

عبد الحميد زوزو .محطات في تاريخ الجزائر .دار هومة الجزائر 2011.ص ص 255.... 27 .

28. اشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1954/1912 ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب و العلوم الانسانية جامعة الامير عبد القادر.ص316

29 .نفسه ، ص 324.

30. مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا الى جبهة التحرير 1926- 1954 " قسنطينة دار الطبع و النشر 2003 ، ص 307.

31 .بن يوسف بن خدة. اتفاقيات ايفيان ،ص 44

32 .رابح لونيسي. بيان اول نوفمبر و أسس الدولة الوطنية ص 33

33. نفسه ، ص 34.

34. سعيد عليوان ." قيم الإسلام في مواثيق الثورة الجزائرية ، بيان اول نوفمبر ، ميثاق الصومام1956 ، برنامج طرابلس 1962 في كتاب : القيم الفكرية و الانسانية للثورة الجزائرية 1954- 1962) مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية ، جامعة منتوري ، قسنطينة 2003.

35.حربي. مرجع سابق ص154.

36 .بن خدة بن يوسف ، شهادات و مواقف ، ص 77.

37 محمد العربي ولد خليفة . الجزائر المفكرة و التاريخية . الجزائر . شركة دار الأمة ، 1998 ، ط1. ص 138.

38.علي هارون .أنظر نص المقال في[1]https://www.djazairess.com/djazairnews/50014

39.حربي. جبهة التحرير .مرجع سابق..ص 237.

40. نفسه ...ص 237.

41 .الزبيري . تاريخ الجزائر المعاصر .ج2 ...ص 244.

42 بن خدة . شهادات و مواقف ،مرجع سابق ص 155.

43 .حزب جبهة التحرير الوطني . النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1962/1954 . نشر و توزيع قطاع الإعلام و الثقافة و التكوين ص 48.

44 .حربي ، جبهة التحرير .... ص 273.

45. إبراهيم لونيسي . الصراع السياسي في الجزائر خلال عهد الرئيس احمد بن بلة . الجزائر . دار هومة . 2007. ص 16

46 .النصوص الأساسية ، مرجع سابق ، ص 70 71

47 .النصوص الأساسية ص 70.

48. عبد الله شريط. مع الفكر السياسي الحديث و المجهود الأيديولوجي في الجزائر . الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب.1984. ص 180

49.النصوص الأساسية ص 49.75

[1]توفيق المديني .المجتمع المدني و الدولة السياسية في الوطن العربي. من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1977.

50 ..محمد حربي . جبهة التحرير الوطني ، الأسطورة و الواقع . ترجمة كميا قيصر داغر . مؤسسة الأبحاث العربية 1983 ، ص354.

قائمة المراجع:

- **الكتب :**

1 - الودغيريعبدالعالي.اللغةوالدينوالهوية .الدارالبيضاء،مطبعةالنجاحالجديدة 2000.

2 المدنيتوفيق - المجتمعالمدنيوالدولةالسياسيةفيالوطنالعربي،منمنشوراتاتحادالكتّابالعرب 1977

3 -شريطعبدالله .المشكلةالأيديولوجيةوقضاياالتنمية . ديوانالمطبوعاتالجامعيةالجزائر 1981

4 - سعدالله أبو.القاسمالحركةالوطنيةالجزائريةج1 . بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1992.

5- القادرجغلول. الاستعماروالصراعاتالثقافيةفيالجزائر. ترجمةسليمقسطون،بيروتدارالحداثة،ط1 1984

سعدالله . أبحاثوآراءج4. بيروت ،دار الغرب الإسلامي ،1990..6 -

7 -سجلالمؤتمرالخامسلجمعيةالعلماءالمسلمينالجزائرييناالمنعقدسنة 1935

8 - د. تركيرابح.التعليمالقوميوالشخصيةالجزائرية.الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،1981.

احمدتوفيقالمدني . كتابالجزائر . القاهرةدارالمعارف 19639 -

10 - امحمدمالكي. الحركاتالوطنيةوالاستعمارفيالمغربالعربي . بيروتمركزدراساتالوحدةالعربيةط2 1994

11 - عبدالحميدزوزو .محطاتفيتاريخالجزائر .دارهومةالجزائر 2011.

12 - مومنالعمري،الحركةالثوريةفيالجزائرمننجمشمالإفريقياالىجبهةالتحرير 1926- 1954 " قسنطينةدارالطبعوالنشر2003

13 - د. محمدالعربيولدخليفة . الجزائرالمفكرةوالتاريخية . الجزائر . شركةدارالأمة، 1998 .

الزبيري محمد العربي . تاريخالجزائرالمعاصر .ج2 .منشورات اتحاد الكتاب العرب .1999..14 -

15 - ابراهيملونيسي . الصراعالسياسيفيالجزائرخلالعهدالرئيساحمدبنبلة . الجزائر . دارهومة . 2007.

16 -حزبجبهةالتحريرالوطني . النصوصالأساسيةلجبهةالتحريرالوطني 1962/1954 . نشروتوزيعقطاعالإعلاموالثقافةوالتكوين.

17 - د. عبداللهشريط. معالفكرالسياسيالحديثوالمجهودالأيديولوجيفيالجزائر . الجزائر. المؤسسةالوطنيةللكتاب.1984.

18 - توفيقالمديني .المجتمعالمدنيوالدولةالسياسيةفيالوطنالعربي. منمنشوراتاتحادالكتابالعرب 1977

19 - محمدحربي . جبهةالتحريرالوطني،الأسطورةوالواقع . ترجمةكمياقيصرداغر . مؤسسةالأبحاثالعربية 1983 .

20 - رابحلونيسي. بياناولنوفمبروأسسالدولةالوطنية.الجزائر .المؤسسة الوطنية للكتاب ،2011

المو اقع الالكترونية :

حبيبصالحمهدي . دراسةفيمفهومالهويةhttp://www.iasj.net

ابراهيمالديب. عبقريةالهويةالوطنيةفيبناءالدولةالحديثةwww.aljazeera.net.

حبيبصالحمهدي . دراسةفيمفهومالهويةhttp://www.iasj.net

د. عباسالجراري . الهويةالوطنيةوالجهويةwww.abbesjirari.com.

https://www.djazairess.com/djazairnews/50014علىهارون .أنظرنصالمقالفي

Benyoucef ben khedda. les origines du 1er novembre .Alger , ed Dahleb 1989.

Claude Collot et J.R Henry. le mouvement national algérien Textes 1912-1954, Alger O.P.U 1981.

Amar naroun , ferhat abbas ou les chemins de la souveraineté . paris ed denoel 1961 ..

المجلات :

23البصائرالعدد 171 ، 5 جمادىالأولى 1358 الموافقل 23 جوان 1939 ص 245 .

الشهابج1. م12 ،محرم 1355 هالموافقلافريل 1936 ص 46.

البصائرالعدد111 24 جمادىالاولى1369هالموافقل 13 مارس1950 ص 175 .

26الشهابالجزءالعاشرالمجلدالخامسجمادىالثانية 1348 الموافق 1 نوفمبر 1929.ص 11/10

د. سعيدعليوان ." قيمالإسلامفيمواثيقالثورةالجزائرية،بياناولنوفمبر،ميثاقالصومام1956 ،برنامجطرابلس 1962 فيكتاب : القيمالفكريةوالانسانيةللثورةالجزائرية 1954- 1962) مخبرالدراساتالتاريخيةوالفلسفية،جامعةمنتوري،قسنطينة 2003.

المذكرات :

اشكاليةالدولة في تاريخ الحركةالوطنيةالجزائرية1912/1954 اطروحةدكتوراه،كليةالادابوالعلومالانسانيةجامعةالاميرعبدالقادر.